محفوظ.. أعز الناس

ماجدة موريس*

لا يفاجئنا الموت باختطاف العديد من الأعزاء والكبار ذوي القيمة والقامة كما يقال، فلكل إنسان موعده المحدد، ولكنه الفراق و ربما إدراكنا المتأخر أننا لم نحتف كما يجب بهؤلاء الذين رحلوا بعد أن أعطونا الكثير.

في ثلاثة أيام رحل الكاتب والمفكر الدكتور رفعت السعيد بكل ما له من فكر سياسي ورؤي عميقة فيما يخص احداث مصر المعاصرة. ثم تلاه الكاتب والاديب والفنان محفوظ عبدالرحمن. والذي اتوقف عنده لأسباب متعددة أولها التخصص وثانيها ما أذكره انا وملايين غيري من أعمال فنية ستظل دائما باقية في ذاكراتنا ووجداننا طالما بقينا أحياء نري ونسمع ونقرأ ما يعرض علينا من أعمال أخري.. ولعل محفوظ عبدالرحمن هو أكثر كتاب الدراما بالنسبة إلينا شغفا بالتاريخ وأكثرهم أيضا مقدرة

---

* ناقدة سينمائية مصرية، نشر في الجمهورية أون لاين.

obeikan.com

علي صياغة الاحداث التاريخية في شخصيات وحوارات نابضة قريبة إلي القلب قبل العقل مع عدم الاخلال بالوقائع التاريخية التي يعتبرها هو خيانة في حوار له وصل إلي كثيرين بعد وفاته عبر وثائق الموبايل من تقديم سميرة أبوطالب واعداد أيمن كامل، وفيه يحدد بعض المفاهيم المهمة في تعامل الكاتب مع أحداث التاريخ وله كل الحق فهو من درس التاريخ في كلية آداب جامعة القاهرة وهو من بدأ حياته ككاتب دراما بمسلسل «العودة إلي المنفي» عن رواية الكاتب ابوالمعاطي أبوالنجا التي تدور حول حياة الثائر عبدالله النديم. قبل أن يكتب حياة «سليمان الحلبي» في مسلسل وبعدها يذهب إلي الكويت ويواصل هناك كتابة المسرحيات والأعمال التاريخية ثم يعود إلي مصر ليتفرغ لكتابة قصة حفر قناة السويس بأيدي العمال المصريين في عصر الخديو اسماعيل. وليقدم مع شريكه في المسلسل المخرج ابراهيم الصحن رباعية مذهلة عن التاريخ السياسي والاجتماعي لمصر في بدايات القرن الماضي وكيف كانت الحياة تسير في القمة. وفي القاع.

أربعة أجزاء بدأت عام ١٩٩٢ وحتي ٢٠٠١ لمع من خلالها أجيال من المبدعين التليفزيونيين بداية من كاتب التيتر الشاعر سيد حجاب إلي كل من ساهم في «بوابة الحلواني» كفنيين وفنانين وعلي رأسهم محمد وفيق وأسامة عباس وسمية الألفي وغيرهم. غير ان

محفوظ لم يتوقف عند البوابة فقط وانما قدم اثناءها عملا مهما. الاول كان فيلمه المهم «ناصر ٥٦» عن موقف في حياة الزعيم جمال عبدالناصر. بإخراج محمد فاضل. وانتاج التليفزيون ايضا. قطاع الإنتاج ورئيسه ممدوح الليثي وقتها.

لماذا كتبت أم كلثوم:

أردت الكتابة عن شخصية القرن. ففكرت في طلعت حرب وفي سعد زغلول. لكنني وجدت أن أم كلثوم اقرب شخصية للدراما لأنها بدأت عقب ثورة ١٩١٩. وتوفيت بعد حرب اكتوبر بعامين هكذا أجاب محفوظ عن سبب اختياره أم كلثوم للكتابة عنها. كان الأمر بالنسبة إليه مشروع عن الوطن من خلال أحد شخصياته الهامة. وهكذا مضي كاتبنا الكبير يقدم ما يري أنه يضيف للتاريخ. تاريخ مصر وتاريخ الناس فيها. سواء كانوا من الجماهير الكادحة مثل عمال حفر قناة السويس. أو الذين عبروا عن خصوصية مصر. وامتلأت حياتهم بأحداث درامية واقعية. حدث هذا مع «ناصر» ومع «أم كلثوم» ثم مع عبدالحليم حافظ في فيلم «حليم» بطولة أحمد زكي عام ٢٠٠٦ وأخيرا مع مسلسل «أهل الهوي» عن حياة بيرم التونسي والذي كان آخر اعماله الدرامية وقد عرض عام ٢٠١٣ علي شاشة التليفزيون المصري ولم يحظ بأي دعاية أو اهتمام يليق به.

وفي تاريخ الكاتب الكبير أعمال أخري عديدة. منها ما كتب وأنتج خارج مصر في الكويت والعراق مثل «محمد الفاتح» و«ليلة سقوط غرناطة» و«الكتابة علي لحم يحترق» ومنها ما قدمه في مصر مثل «المرشدي عنتر» و«قابيل وهابيل» و«الدعوة خاصة جدا». لكن ارتباطه بالتاريخ المصري والعربي جعل لأعماله التاريخية مسارا خاصا لكونها تجمع بين الطرح الفكري المتجاوز لحدود الحدوتة وبين قيمة وجمال الصراع الإنساني لبشر في أعلي قمم النفوذ والمكانة الاجتماعية والسياسية. وفي هذا الشأن قال محفوظ بوضوح: إنه حتي المعلومات التاريخية لابد من إعادة تخيّلها وكتابتها بأسلوب جديد لأنه لا يجوز الخلط بين التاريخ من حيث هو علم اجتماع والدراما بصفتها عملا فنيا. فالدراما لا تنقل أحداثا و وقائع وليست عملا توثيقيا.

هو.. ودراما هدم الأسرة

وعلي شاشة القناة الاولي مساء السبت الماضي. عرض برنامج «أعز الناس» حلقة مسجلة أخيرا مع محفوظ عبدالرحمن وزوجته الفنانة الكبيرة سميرة عبدالعزيز من إعداد أحمد العربي و إخراج ماهر سيد أحمد، وفي هذه الحلقة تحدث الكاتب الكبير الذي رحل عنا، عن أسباب قوة وشموخ الدراما المصرية في الماضي قائلا

إن السبب هو أن المنتج كان جهاز التليفزيون نفسه. وكانت توجد لديه رغبة في إنتاج مستوي جيد ورغبة في ايصال رسالة للمشاهد. وأن التليفزيون المصري حين أنتج الدراما بعد بداية بثه عام ١٩٦٠ كان هدفه هو تكوين وجدان الناس من خلال الاعمال الفنية وليس المكسب المادي.

صدام مع الرقابة

وكانت لهذه الاعمال شروط. وروي أنه اصطدم مرة برقابة التليفزيون بسبب كلمة تقولها زوجة لزوجها «طلقني» ، لكن الرقابة رفضت الكلمة وقالت إنها مؤشر علي تدهور الحياة. وتساءل الكاتب الكبير «لم يكن هناك تصور أن تصل الحوارات إلي ما نسمعه ونقرأه الآن في المسلسلات. صحيح أنه يوجد طموح لدي الفنانين لقول كل ما يمكن قوله في الحياة. لكن هذا لم يكن مسموحا به.. بالتالي كان البيت المصري آمنا.. اليوم لم يعد آمنا.. وأنا شخصيا غير آمن كمشاهد.. وحين يحضر أطفال إلي بيتي أسارع بخفض صوت جهاز التليفزيون حتي لا يسمعوا ما لا يليق»..

وفي البرنامج أيضا تحدث الكاتب الكبير. ربما لأول وآخر مرة. عن أمور أخري تخص الدراما منها حكاية الإعلانات التي رأها مسألة «قاتلة» ولكنه رأي أن المشكلة الأكبر تكمن في ضرورة أن يكون

المسلسل ممتدا لثلاثين حلقة فيه شخصيات يمكن تقديمها بشكل رائع في ١٠ حلقات فقط لكن هذا غير مسموح به. وهو ما لا يوجد في العالم كله. وإنما فقط في مصر. كيرك دوجلاس مثلا قدم مسلسلا في ست حلقات فقط.. فإذا وجدت أنا ككاتب أن حياة شخصية لا تستحق اكثر من ١٠ حلقات.. وعلي أن «أمطها» إلي ٣٠ حلقة.. ألا يقع العمل ساعتها؟ و»إذا لم نقدم السيرة الذاتية للكبار و العظماء.. فكيف يجد الشباب المثل الاعلي والقدوة التي تدفعهم للاجتهاد فيما بعد؟» أخيرا قال الكاتب الكبير إن هناك من يريد أن ينحط بالدراما إلي أقصي حد.. ولا يهمه هدم الاسرة وهو ما يجب التصدي له بوضوح.. رحم الله محفوظ عبدالرحمن.

opelkan.com